لرفع معنويات الجماهير العربية وابرازا للاهداف التي يجاهدون في سبيل تحقيقها، واحباطا للدعاية المعادية التي كانت تحاول اظهار اعمال القساميين بأنها اعمال اجرامية وانهم لم يكونوا سوى عصابة للسلب والنهب(١٦). فعندما اشتد خطر الهجرة الصهيونية وانكشف أمر تسلح الصهيونيين سرا بمساعدة السلطات البريطانية، اصبح الوضع السياسي لا يحتمل مزيدا من التأجيل ، وتقرر البدء بالتحرك من اجل الثورة في الاراضي الجبلية ، وعقد اجتماع في مدينة حيفا مركز الثورة الرئيسي في منـزل محمود سالم المخزومي ليلة الثاني عشر من نوفمبر ١٩٣٥(١٧). وباع أصحاب القسام حلى زوجاتهم وبعض أثاثهم ، واشتروا بثمنها رصاصا وبنادق ، ثم قصدوا جبال يعبد القريبة من مدينة حيفا ؛ بل القريبة من مرسى الاسطول البريطاني ، غير عابئين بقـوة بريطانيا المسلحة . وهذا يدل على أن القوم كانوا يعرفون مصيرهم ، وانه الشهادة في سبيل الله(١٨). ويؤثر عن رجال القسام ان كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذوه قدوة لهم(١٩). وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة والانتقال الى الحياة الاخرى للتمتع بما أعده الله للمجاهدين والشهداء من نعم(٢٠).

ويروي الاستاذ دروزة ان عدد الذين خرجوا مع القسام كانوا عشرة ، وهم : يوسف الزيباوي (من قرية الزيب) ، وحنيفة المصري (من القطر المصري) ، ونمر السعدي (من غابة شفا عمرو) ، واسعد المفلح (من قرية ام الفحم) ، وحسن الباير (من قرية برقين)، وأحمد عبدالرحمن جابر (من قرية عنبتا) وعرابي البدوي (من قرية قبلان) ، ومحمد يوسف (من قرية سبسطية) ، ومحمد الحلحولي (من قرية حلحول) ، ومعروف الحاج جابر (من قرية يعبد) ، وانهم دعوا اخوانهم الباقين للانضمام اليهم(٢١). ومروا وهم في طريقهم الى غابات يعبد بمستعمرة عين حارود ، فتعرض لهم حارس المستعمرة الصهيوني فقتله يوسف الزيباوي(٢٢). وكان مع كل واحد منهم بندقية ومبلغ ضئيل من المال يستعين به على القيام بأوده ، وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يرابط بجماعته على مقربة منهم — انهم لم يسألوهم او يطلبوا منهم شيئا في يوم من الايام، بل كانوا في النهار يأوون الى كهوفهم يصلون ويقراون القرآن ، وفي الليل يخرجون الى القتال(٢٣).

وقد ذكرت بعض المراجع العربية أن احد أفراد قوات الامن — وكان معروفا بأنه يعمل جاسوسا للسلطة المنتدبة — علم بالمكان الذي لجأ اليه القسام ورجاله ، فدل السلطة عليه(٢٤). وسارعت السلطة الى قمع هذه الحركة الخطيرة قبل تفاقمها وأرسلت الى الاحراش قوة مختلطة من البريطانيين والعرب — تساعدها طائرات استكشافية — فطوقت العصبة التي لم يكن امامها بد سوى الدخول في المعركة الحاسمة قبل اوانها، رغم المفاجأة وعدم التكافؤ في القوة(٢٥). وحين طلب من القسام أن يستسلم أجاب « اننا لن نستسلم . ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن » والتفت الـى زملائه قائلا « موتوا شهداء »(٢٦). وحين رأى في القوة المحاصرة عددا من الجنود العرب صاح في رجاله « اياكم ومقابلة رصاص الجنود العرب بمثله .. ولكن عليكم بالانجليز، فاجعلوهم هدف رصاصكم » ، وعلى هذه القاعدة دارت المعركة(٢٧). وبعد قتال استمـر عدة ساعات انتهت المعركة باستشهاد الشيخ القسام وعدد من رفاقه وأسر الباقـين ، وأصدرت السلطة بلاغا بالحادث نعتت فيه القسام وصحبه بالاشقياء(٢٨).

ويروي التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ ان حادث مصرع جاويش من رجال الشرطة كان يقتفي اثر حادث سرقة في تلال الناصرة يوم ٧ نوفمبر هو الذي أدى سريعا الى اكتشاف وجود عصابة مسلحة بقيادة الشيخ عز الدين القسام بالقرب من هـذا المكان ، وانه بعد هذا الحادث بعدة ايام وقبيل اكتشاف عصابة الشيخ القسام صرع احد عساكر الشرطة بعد تبادل النيران مع احد رجال العصابة الذي قتل ايضا ، وانه